موعد تحت برج الساعة

مصت نصف ساعة وأنا أنتظرها . أسند ظهري إلى جدار برج الساعة ، وأرقب مداخل الميدان ، أعلق بصري بأطياف النساء القادمات إليه ، بحثا عنها ، وأتسلى أحيانا بإحصاء عدد النساء والرجال الذين تواعدوا على اللقاء تحت البرج . الذين يأتون فلا يدوم انتظارهم سوى دقيقتين أو ثلاث . يلتقون بعدها بأحبابهم ، ويذهبون ضاحكين متعانقين ، وأنا باق ، أستقبلهم وأودعهم ، كما يفعل هذا البرج ، دون أن أدري لماذا أواصل انتظارا عقيما لا معنى له ، وأبني أبراجا من الأحلام ، نتيجة موعد أعرف منذ البداية أنه لم يكن إلا عبثا . امرأة ألتقي بها علي ناصية الطريق ، فيبهرني جمال عينيها ، وأستوقفها لأتسول منها موعدا ، فتهز رأسها بالموافقة وتمضي . امرأة لا أعرف اسمها ، ولا تعرف اسمي ، ولم تمكث معي وقتا يكفي لأن تتذكر ملامح وجهي ، كيف أوهم نفسي بأن لي موعدا معها . وأقف كل هذه المدة ، أنتظر أن تأتي راكضة نحوي ، تغمرني بعبق أنوثتها ، وتمنحني نصيبا من عطرها ، وتفسح لي مكانا في دائرة الضوء التي يصنعها جمالها ، وتترك ما لديها من ارتباطات وعلاقات لتصطفيني ضيفا على موائد حبها . إن هذا لا يحدث إلا في الخراريف .

يجب أن أترك هذا الانتظار الذي لا معنى له ــ قلت في نفسي ــ وأمضي للاعتناء بشئوني الأخرى . ولكن أية شئون تنتظرني ، في مدينة أجنبية جئتها منذ شهر مضى ولا أعرف من أهلها إلا أرملة عجوز هي مسز «كين» التي أسكن في بيتها ، برفقة ابنها وكلبها . ثم عدد من الطلاب الأجانب الذين يدرسون